



الأحد 29 أغسطس 2010 02:03 م  
كتب: جمعة أمين عبد العزيز

لقد أكرمنا الله بهذا الدين الحنيف، وهذا الإسلام العظيم، ومنحنا السيادة والعزة والتقدير والاحترام، إذا نحن استمسكنا به، ونفذنا تعاليمه، ووقفنا عند حدوده، بل ضمن لنا الأمن والأمان في كنفه **«الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾** (الأنعام)، والأمن هنا أمان، أمن نفسي وأمن مادي **«لِإِبْلَافٍ قُرَيْشٍ (1) إِبْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا النَّبِيِّ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْتَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)﴾** (قريش).

ولأننا نذوق للإيمان طعمًا حلواً، ونسعد بالأمان في مجتمع الإيمان.. لا نعتدى على أحد، ولا نحب أن يعتدي علينا أحد؛ لأن دعوتنا دعوة السلامة والسلام للبشرية جمعاء، بشرقها وغربها، بل هي رحمة للعالمين؛ ولذا حين تطل الحرب برأسها على العالم فإننا ندعو العفاء في شتى بقاع الأرض للعمل جاهدين لإخمادها قبل أن يستفحل شرها ويطغى دعائها.

ونظرةً إلى سيرة رسولنا الكريم محمد- صلى الله عليه وسلم- نجده قد مكث 13 عامًا بعد البعثة شعاره فيها **«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** (النحل: من الآية 125)؛ لينبت لمجتمعه الذي عاش فيه أنه رسول السلام من قبل رب العباد، بالرغم من تحمله من قومه ما لم يتحملة أحد من البشر، فقد حوصر سنوات، وقوطع ومن آمن معه، وانهمه أعداء الدعوة بما ليس فيه، وافتروا عليه الكذب كفار قريش فهو مرةً ساحر، وأخرى شاعر، وثالثة كاهن، بل هو مجنون، ويفرق بين المرء وزوجه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حاكوا المؤامرة لقتله إلا أن الله عصمه من الناس، وبعد هذا الإيذاء والكيده أمره الله بالهجرة إلى المدينة لعله يجد فيها أرضًا صالحة لدعوته؛ ليحق الحق ويُبطل الباطل ولو كره الكافرون.

ولذلك فإن المرجفين وأعداء الإسلام لا يفترون من تشويه الدعوة والداعين، بل يصورون انتشار الإسلام على أنه تحقق بقوة السيف والإكراه وليس بقوة الحجة والبيان، ونحن ننفي هذا الافتراء نفيًا قاطعًا، فإن الإسلام لم ينتشر إلا بقوة المبادئ والقيم والإيمان، ولهذا كان الجهاد فريضة على كل مسلم ومسلمة؛ ليصد الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام على كل ما هو خير للبشرية؛ لترتفع راية الحق والعدل والخير عالية؛ لتصبح كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

من أجل هذا رأينا الحق تبارك وتعالى بعد 15 عامًا من البعثة يأذن للرسول- صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين بالقتال لرد هذا العدوان: **«أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَضَرُّعِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصُلُوحٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيُنْزِرَنَّ اللَّهُ مِنَ تِظْمُرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)﴾** (الحج).

هم لا يبتدئون بالقتال من أجل القتال، وإنما يقاثلون ويدافعون من يقاثلهم، ولا يعتدون من تلقاء أنفسهم على أحد **«فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾** (البقرة: من الآية 149) حتى عند القتال لا يجاوز المجاهد في سبيل الله الحد الذي رسمه الله له، كما أخبر الله في قوله: **«وَقاتلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)﴾** (البقرة).

وهنا يتبين بوضوح الفرق بين الإرهابي الذي يعتدي على الآمنين بغير حق، والمثال واضح في غزة وفلسطين والعراق وأفغانستان، فتُسفك دماء بريئة، فيتبين لذي عينين الجهاد المشروع، والمقاومة الواجبة حين يُعتدى على الأعراس والأنفس والتمرات والأوطان، ويسفط في ساحة القتال، أبرار صمموا على الدفاع عن دينهم وعقيدتهم وحرمتهم، ويرخص بذل الدم الغالي ليروون به الأرض؛ لتخرج منه شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، حتى يحقق المولى تعالى النصر، وهذا ما كان من سلفنا الصالح يوم وقفوا للكفر سدًا منيعًا، وما كان من الأبطال في كل العصور والدهور، وكل الأزمنة والأمكنة حين جادوا بأرواحهم، فأجرى الله النصر على أيديهم.

إن للشهيد مكانةً عاليةً عند الله، ودرجة عظيمة؛ لأنه يبيع نفسه وروحه الغالية لربه، ويلبى نداء خالقه حبًا في جنة ربه، وإعلاء كلمته، فمن الذي يرغب في هذه المكانة؟! فعن جابر رضي الله عنه قال: "لقيني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لي: "يا جابر ما لي أراك منكسرًا؟" قلت: يا رسول الله، استشهد أبي يوم أحد، وترك عيالًا ودتيًا، قال: "ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟" قلت: بلى يا رسول الله، قال: "ما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وأحيا الله أباك فكلمه كفاخًا- مواجهةً- فقال: يا عبدي تمنّ عليّ أعطك، فقال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانيةً، قال الرب عزّ وجلّ: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون"، قال: وأنزلت الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَفُّونَ﴾ (آل عمران)، هكذا فهم رجال بدر فهانت عليهم الدنيا، وقال قائلهم: "بيني وبين الجنة تلك التمرات، والله إنها لحياة طويلة".

فهنيئًا لكم يا شهداء فلسطين والعراق، وشهداء الحق في كل مكان، فيكم ينتصر الحق، وإن النصر لقريب، وهكذا تتحدد المعاني، فلا يُخدع المسلم بمكر أعداء الإسلام؛ لأنه ليس بالخب ولا الخب يخدعه.

\* نائب المرشد العام للإخوان المسلمين.

<https://www.ikhwan.online/article/69928>